

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤسستة البيت المكي للفكر الإسلامي



المؤتمر العام الرابع عشر

٢٢-٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ / ٤-٧ أيلول ٢٠٠٧م

المضمون الأخلاقي لمفهوم "الحب"

في القرآن الكريم

شيخ الإسلام الله شكر بن همت باشا زاده

## المضمون الأخلاقي لمفهوم "الحب" في القرآن الكريم

شيخ الإسلام الله شكر بن همت باشا زاده

لقد خصص العلماء المسلمون في السنوات الأخيرة مؤلفات عديدة لدراسة وتحليل عدد من المفاهيم والمبادئ بما فيها السلام والتسامح والحوار والتي تشكل أساس نمط الحياة الإسلامية، وأجروا مؤتمرات دولية موقرة في هذه المواضيع .

وفي رأيي فإن مفهوم "الحب" في القرآن الكريم لم يكن موضع تحليل فلسفي شامل ومفصل حتى الآن . ولا شك في أن مثل هذا النقص يجب أن يزال ، ومن هنا أريد أن أشكر منظمي مؤتمرنا هذا لما بذلوه من جهود ولعرضهم مثل هذا الموضوع المهم للنقاش .

إنني أمل بأن النقاشات ستكون مثمرة وسيتوصل المؤتمر إلى نتائج شيقة .

أظن أن دراسة المضمون الأخلاقي لمفهوم "الحب" في القرآن الكريم تكتسب اليوم أهمية ملحّة، خاصة وإنني أريد أن أربط هذا الإلحاح وهذه الأهمية بعدد من الأسباب .

أولاً: أهمية الموضوع ترتبط قبل كل شيء بضرورة تطوير علم الأخلاق الإسلامي بشكل يستجيب للمتطلبات الحديثة .

وثانياً: يكتسب إبراز المضمون الأخلاقي لمفهوم "الحب" في القرآن الكريم أهمية تربوية كبيرة لأن هذا المفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم التسامح والرغبة والحلم والأمل، ولذا لتحليله النظري بالارتباط بالمفاهيم المذكورة أهمية قصوى من حيث تحسين واستكمال أساليب وأشكال مسألة التربية الإسلامية . وثالثاً: فإن دراسة المضمون الأخلاقي لمفهوم "الحب" ترتبط أيضاً بمتطلبات مكافحة التأثيرات الغربية وغير المرغوبة على المجتمعات الإسلامية في عهد العولمة .

إن جهاز الدعاية في الغرب يسعى اليوم بكل الوسائل إلى وصف الإسلام والمسلمين كقوة مستعدة للتطرف والإرهاب وسفك الدماء، حيث إن الأكاذيب والافتراءات ابتداءً من الكتاب المزعوم لسلمان رشدي، وانتهاءً بالكاريكاتورات المنشورة في الصحف الغربية تكررًا ومرارًا تهدف إلى غرسها في وعي الناس وكأن الإسلام بعيد عن الحب والمودة والحدود الإسلامية هي "حدود دموية" وأن الحضارة الإسلامية وضعت كمينًا لإبادة البشرية ويدها سيف قاطع .

ومن هنا فهناك حاجة ماسة إلى أن نبرز اليوم الحقيقة عن "الحب" في الإسلام والمضمون الأخلاقي لهذا المفهوم وعلاقته وارتباطه بمفاهيم التعامل والصدقة والأخوة والتعايش والتسامح، وأن نشرح الطبيعة الإنسانية لدعوات القرآن الكريم إلى الجمال والإحسان، وإلى أن نعرض أمام الجميع تصورات الإسلام حول المعاملات الإنسانية بين البشر . والمطلوب من الفكر الإسلامي أن يقوم بصياغة وجهة نظره الخاصة بمفهوم "الحب" .

لقد أشار العالم المصري الحديث فؤاد عبد الباقي في كتابه "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" إلى أن الكلمات المشتقة من أصل "حب" والتي تحمل معنى الحب والمودة استعملت في القرآن الكريم ثلاث وثمانون مرة، والكلمات المضادة للحب مثل السخط والإكراه وردت فيه أربع مرات فقط .

كما أن العلامة الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣هـ / ١١٠٨م) يأتي بتعريف "الحب" في كتابه "معجم مفردات ألفاظ القرآن" كالتالي: "الحب هو الرغبة في الشيء الذي يعتبره خيرا أو تظنه بأنه خير" . وحسب رأيه فإن الكلمات المعبرة عن الحب في القرآن المجيد يمكن أن تقسم إلى ثلاث مجموعات :

١- الحب المرتبط بالاستمتاع واللذة، مثل حب الرجل للمرأة أو حبه للمال والأكل والشرب . لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨]؛ ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

٢- الحب المرتبط بالفائدة والربح: ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣].

٣- الحب المرتبط بالقيم الأخلاقية والفضل: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وكما وردت الإشارة فإن الإسلام يعتبر "الحب" على المستويات المذكورة عاملاً مهماً لحياة الإنسان، لأن الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً لا يمكن أن يكون سعيداً دون أن يتعامل مع الآخرين، حيث إنه يشعر بالحاجة إلى الحب منذ أن يولد ويدخل إلى عالم الوجود إلى أن يترك الدنيا، وهذه الحاجة ترافقه طول حياته .

وإذا كانت احتياجات الإنسان الجسمانية تجره إلى حب الأشياء المادية فتسعى نفسه نحو تلبية احتياجاته المعنوية. لكن نفسه يمكن أن تحرضه نحو رغبات مختلفة ومتناقضة في غالب الأحيان. والإسلام إذ يأخذ بعين الاعتبار كل هذا، يعلم الناس طريق الوصول إلى السعادة ويرى من المهم توضيح معنى الحب من حيث القيم الأخلاقية والفضائل. ويمكن موقف الإسلام من الحب في توضيحه أن الحب المرتبط بالمادية لم يأت بالسعادة والراحة للإنسان، لأن مثل هذا الحب لا يعرف الشبع وليست له نهاية حيث إن الإنسان بحكم وصوله إلى هدفه يرى أن هناك حاجة إلى الأكثر .

ومن جهة أخرى فإن الحب المرتبط بالمنفعة الشخصية والاهتمام والفائدة والربح ولو كان يرافق الإنسان طول حياته فعليه أن ينسق بفضله وعقله وذكائه وبشكل صحيح بين المصالح الشخصية والمصالح الاجتماعية، وإذا لزم الأمر فعليه أن يضحّي بمصالحه مقابل المصالح الاجتماعية. وبهذه الحالة يرتفع الحب إلى مستوى العزم والجرأة .

إن على الإنسان أن يدرك بمساعدة عقله وذكائه ومصالحه بشكل صحيح. أما إذا كانت أساس الحب مصالح شخصية فعلى المسلم أيضاً أن يدقق معيار وأبعاد هذه المصالح لكي لا يقع في الخطأ .

إن الإسلام الذي يفضل تفسير الحب بوصفه قيماً أخلاقية يدعو أتباعه إلى حب ما يحبه الله عز وجل والابتعاد عما لا يحبه سبحانه وتعالى، يعلمنا ذلك القرآن الكريم أيضاً حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وأيضاً: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. و﴿... الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] و﴿... الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] و﴿... الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] و﴿... الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] و﴿الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا...﴾ [الصف: ٤].

إن هذه الصفات التي يحب الله عز وجل أن تكون متوفرة في عباده إنما هي صفات إنسانية جميلة، والله جميل ويجب الجمال وعلى عباده أن يحبوا كل ما يحبه سبحانه وتعالى. ومن هنا فإن المودة يجب أن تكون للمسلم هدفاً نهائياً للجمال - أي الجمال يجب أن يكون محبوباً، ويجب أن توجه مساعي الإنسان إلى أن يرفع إلى مقام الجمال نفسه وروحه بحبه للأشياء الحسنة .

وبالعكس فإن الأخلاق الإسلامية التي تهدف إلى إنقاذ شخصية الإنسان من إباحية الحياة الجاهلية تربط الجمال الأخلاقي بالامتناع عن الصفات والمزايا التي لا يحبها الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] و﴿... الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] و﴿... الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] و﴿... الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧] و﴿... مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] و﴿... مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧] و﴿... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] و﴿... الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] حيث إن الذين يحذرون من مثل هذه القبائح الأخلاقية يتوصلون إلى الجمال الأخلاقي. ويرى الإسلام أن كل ما هو جيد لحياة الآخرة يجب أن يكون محبوباً لدى الإنسان وليس ذلك بمثابة الزهد، إنما هو دعوة لجعل العالم جميلاً ومعمراً لأن المسلم الذي يفكر في الآخرة يسعى أن يوجه كل نشاطه وأعماله لتعمير الدنيا .

ومعروف أن الإنسان كأبي مخلوق حي يولد وينمو ويفارق الدنيا وليس في قدرته أن يغير أي شيء في القوانين والأنظمة التي جاءت من الله عز وجل. وفي نفس الوقت فإن الإنسان بكونه مسؤولاً عن حياته،

يجب أن يقضي حياته المخصصة له من ربه بشكل يضمن لنفسه آخرتها الميمونة، ولذا يكتسب حبه في الدنيا لأشياء وأعمال معينة وابتعاده عن أشياء وأمور أخرى أهمية بالغة، حيث يشكل حب المسلم معايير غناء تكوينه الفردي بالمضمون الأخلاقي .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] لأن التحرر من الحرص والخوف يوصل الإنسان إلى الفضل الأخلاقي والاعتدال الذي يقضي بالعلم والمعرفة في المودة والكره والخير والشر . وبدوره يتطلب العلم بالوعي ولبياقة ومناسبة حب شيء أو عدم حبه لأخلاق المسلم وتحديد ذلك بالعقل والوعي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .